

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[584] والصغار بدل العظمة وهذه يعني أنَّهُ لم يصل إلى هدفه فحسب، بل بات على العكس من ذلك، ونحن نقرأ في نهج البلاغة "الخطبة القاصعة" في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) عند ذمِّه للتكبر والعجب ما يلي: "فاعتبروا بما فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل، وجهده الجهد، وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة... عن كبر ساعة واحدة، فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته؟ كلا، ما كان الله سبحانه ليدخل الجنة بشراً بأمر أخرج به منها ملائكة، إنَّ حكمه في أهل السماء وأهل الأرض الواحد" (1). وقد جاء أيضاً عن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) أنَّهُ قال: "إنَّ للمعاصي شعباً، فأول ما عصي الله به الكبر، وهي معصية إبليس حين أبى واستكبر وكان من الكافرين، والحرص وهي معصية آدم وحواء... ثمَّ الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله" (2). وكذا نقل عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: "أصول الكفر ثلاثة: الحرص والاستكبار والحسد، فأول الحرص فإنَّ آدم حين نهى عن الشجرة حمله الحرص على أن أكل منها، وأول الاستكبار فإنَّ إبليس حيث أُمِر بالسجود لآدم فأبى، وأول الحسد فإنَّ آدم حيث قتل أحدهما صاحبه" (3). ولكن قصَّة الشيطان لم تنته إلى هذا الحدِّ، فهو عندما عرف بأنه صار مطروداً من حضرة ذي الجلال زاد من طغيانه ولجأته، وبدل أن يتوب ويثوب إلى الله ويعترف بخطئه فإنَّ الشيء الوحيد الذي طلبه من الله تعالى هو أن يمهل ويؤجل موته إلى يوم القيامة: (قال انظرني إلى يوم يُبعثون). ولقد استجاب الله لهذا الطلب، فـ(قال إنَّك من المنظرين).
1 - إطلاق "الملائكة" على الشيطان إنما هو لأجل أنَّهُ كان له مكان في صفوف الملائكة، وكان رديفاً لهم لا أنَّهُ كان منهم ومن جنسهم كما قلنا سابقاً. 2 - سفينة البحار، مادة كبر. 3 - أصول الكافي، ج 2، ص 219، باب أصول الكفر.